بسم الله الرحمن الرحيم

العنوان:

تاريخ الشرق الأوسط من خلال الكتب السماوية
القرآن نموذجًا

الاسم:

حسن محمد أحمد محمد

الدرجة العلمية:

أستاذ مساعد

الموقع:

جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية– السودان

البريد الإلكتروني:

tleap2@hotmail.com

Tele:

00249126551989

. مستخلص الدراسة:

إن موضوع هذه الدراسة هو منطقة الشرق الأوسط التي مرت بالعديد من الأحداث التاريخية المتتالية، والتي كان للدين القدح المعلى في تشكيلها ورسم خريطتها السياسية والاجتماعية والثقافية..؛ الأمر الذي أسهم في تطور الصراعات وتفاقم الخلافات السياسية بين اليهود والعرب في هذه المنطقة، وتحديدًا في منطقة فلسطين، وينحصر مركز الصراع بشكل أكبر حول مدينة القدس والتي تساوي، فقط، 0,65% من مساحة دولة فلسطين الكلية، وإن شئنا الدقة فالصراع يتركز في بؤرة مركزية تتمثل في المسجد الأقصى. وبما أن هذا الصراع هو صراع ديني عقدي؛ فقد اهتمت الدراسة بتناول ومناقشة ما جاء في الكتب السماوية، بالتركيز على الرواية التوراتية في العهد القديم، والآيات القرآنية. وعليه فقد تم تقسيم الدراسة إلى محاور أربعة:

- ❖ الشرق الأوسط مهبط الوحي والرسالات.
- ❖ المسجد الأقصى ومكانته في نفوس المسلمين.
- ❖ الصراعات الدينية والتجاذبات السياسية بين اليهود والعرب.
- ❖ إسماعيل، عليه السلام، بين اليهودية والإسلام.

Abstract:

The subject of this study is the Middle East, which has experienced many successive historical events, and that religion has had the highest defamation in its formation and its political, social and cultural map ..; Which contributed to the development of conflicts and the aggravation of political differences between Jews and Arabs in this region, specifically in the region of Palestine, and the center of the conflict is confined more to the city of Jerusalem, which equals only 0.65% of the total area of the state of Palestine. A central focus is the Al-Aqsa Mosque. And since this conflict is a religious contractual conflict; The study focused on discussing and discussing what came in the heavenly books, focusing on the biblical narration in the Old

Testament, and Quranic verses. Accordingly, the study was divided into four axes:

Middle East .Al-Aqsa Mosque and its place in the hearts of Muslims.

Religious conflicts and political rivalries between Jews and Arabs.

Ismail, peace be upon him, between Judaism and Islam.

. تمهيد:

تمتد منطقة الشرق الأوسط امتدادًا شاسعًا وهي تشتمل على العديد من الدول الأفريقية والآسيوية ..، غير أننا هنا سنقصر دراستنا على المنطقة التي تمثل مهبط الوحي والديانات وهي مكة المكرمة في شبه الجزيرة العربية والقدس في فلسطين بالإضافة إلى مصر التي كانت وجهة لعدد من الأنبياء والمرسلين، عليهم وعلى نبينان الكريم أفضل صلاة وأتم تسليم، حيث أقام إبها إدريس، عليه السلام، ودعا الناس إلى الإيمان بالله وطاعته. كما زارها في نبي الله إبراهيم وزوجته سارة، وجُلب إليها يوسف وبيع فيها، أما والده يعقوب (إسرائيل Israel) وإخوته فقد قدموا إليها بعد أن تبوأ يوسف في مصر منزلة مرموقة، كذلك ولد وعاش بها موسى وزارها المسيح، عليهما السلام. لقد انتزعت منطقة الشرق الأوسط مكانتها وقيمتها الروحية، قبل كل شئ، باعتبارها مهبط الوحي للديانات السماوية الثلاث: اليهودية، المسيحية، الإسلام. أي أن أهميتها، لا تتمثل في كونها منطقة تكثر فيها الثروات الطبيعية الهائلة (البترول والغاز الطبيعي)، أو باعتبارها منطقة تمتاز بخصوبة أراضيها الزراعية الممتدة، ولا حتى موقعها الإستراتيجي الذي يتوسط العالم؛ مما جعلها تسيطر على حركة التجارة العالمية.

غير أن سيطرة الدين الإسلامي هو الشئ الذي لفت الانتباه وشد نظر العالم صوبها، فالمسلمون يشكلون أكثر من 90% من السكان، بينما تمثل المسيحية7% أما اليهود1%. وهنا شئ آخر ارتبط بالدين الإسلامي ارتباطً وثيقًا، وهو اللغة العربية وسيادتها وتفوقها على نظيراتها من اللغات في هذه المنطقة، كالفارسية (إيران)، والتركية (تركيا) ..، ولعلنا لن نتمكن من اعطاء منطقة الشرق الأوسط حقها من التقدير والتعظيم؛ وذلك لما لهذه المنطقة من المكانة لدى أهلها وزائريها الذين سحرتهم بتاريخها العريق، وهو تاريخ وثيق الصلة بالأديان، وربما لا يجهل أحد ما للعقائد من تأثير في تشيكل السلوك الاجتماعي. والدين هو العنصر المحوري والجذوة التي

تحرك النفوس[1]، كذلك يعتبر الدين سمة إنسانية، لم تخل منها أمة من الأمم ولا شعب من الشعوب منذ فجر التاريخ[2]. كما أن التدين يمثل خاصية مميزة للإنسان عن الكائنات الأخرى، وقد قيل، في تعريف الإنسان، أنه حيوان متدين[3].

[1]/ صمويل هنتنجتون، صدام الحضارات إعادة صنع النظام العالمي، ث: 10، ترجمة طلعت الشايب، القاهرة 2014م.
[2]/ أميل بوترو، العلم والدين في الفلسفة المعاصرة، ترجمة: أحمد فؤاد الأهواني، ص:3 (القاهرة 2013م).
[3]/ أحمد فؤاد الأهواني، "مقالات الإسلاميين للأشعري"، تراث الإنسانية، ج2، ص: 357 (القاهرة 2016م).

ـ مشكلة الدراسة:

تعتبر منطقة الشرق الأوسط من أكثر المناطق حوجة للبحث في تارخيها، الضارب في القدم، فهي من أكثر المناطق التي دارت فيها الحروب والنزاعات في تاريخ البشرية؛ ويعود ذلك لعوامل متعددة ومكونات متنوعة، والتي من أبرزها المكون الديني والذي يتمثل في المكانة الروحية التي تحتلها مدينة القدس، بشكل عام والمسجد الأقصى، وما له من قدسية دينية ومكانة تاريخية لدى الديانات السماوية الثلاثة. من هذا الباب فإن الدراسة ستهتم بتاريخ الشرق الأوسط، مع التركيز على القدس وتاريخها، فهي مدينة التجاذب والتنافر والسلام والصدام والصراع والتعايش في ذات الآن، والمسجد الأقصى هو بؤرة الصراع ومحور التجاذبات لما يمثله من سمو روحي لاسيما وأنه يستند على إرث تاريخي تليد وعتيد، وقد تعاقبت عليه العديد من الحقب التاريخية والدينية المتتالية؛ الأمر الذي أكسبه الكثير من المهابة والقداسة الدينية والجاذبية الروحانية والوجدانية، وللمسلمين حنين دائم لاسترداده من أيدي اليهود المغتصبين له. قال تعالى:

(نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ) يوسف: 3.

(تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَائِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ) الأعراف:101.

ـ أهمية الدراسة:

تأتي أهمية هذا البحث من أهمية القدس كمدينة تاريخية عميقة الجذور، بالإضافة إلى قدسية المسجد الأقصى لدى المسلمين؛ مما جعل المسلمين يكنون للقدس الشريف، في نفوسهم، الكثير من التقدير الروحي والوجداني، فهو قبلتهم الأولى، كما أن رسولنا الكريم، صلى الله عليه وسلم، قد عرج منه إلى السماء، ليلة أسري به من المسجد الحرام، وهناك، أيضًا، الإرتباط التاريخي والسياسي الضارب في القدم، فقد ارتبطت القدس بالخليفة الثاني وأمير المؤمنين عمر بن الخطاب، وكذلك ارتبطت بالقائد العظيم صلاح الدين الأيوبي[4].

ـ مرتكزات البحث:

[4]/ صلاح الدين الأيوبي (532-589هـ، 1137- 1193م). يوسف بن أيوب بن شادي بن مروان بن يعقوب، الدُّوِيْنيُّ، التكريتي المولد، أبو المظفر، صلاح الدين الأيوبي، الملقب بالملك الناصر، القائد الإسلامي الشهير.

تعتبر العقائد الدينية من أقوى البواعث النفسية وأبرز الدوافع الإنسانية التي أسهمت اسهامًا مباشرًا في كتابة وتدوين تاريخ البشرية منذ القدم وحتى اليوم، وعليه فقد ارتكزت هذه الدراسة على أربع مجاور رئيسة، هي:

- الشرق الأوسط مهبط الوحي والرسالات.
- المسجد الأقصى ومكانته في نفوس المسلمين.
- الصراعات الدينية والتجاذبات السياسية بين اليهود والعرب.
- إسماعيل، عليه السلام، بين اليهودية والإسلام.

ـ المنهج:

إن المنهج التاريخي الاستقصائي هو المنهج الذي سيتبعه الباحث في تحقيق هدف هذه الدراسة، بجانب المنهج الاستنباط التحليلي، الذي سيفيد الباحث في التحقق مما لديه من بيانات تحتاج إلى التحقق من صدقها وحقيقتها.

الشرق الأوسط مهبط الوحي والرسالات

يكفي منطقة الشرق الأوسط، شرفًا لا يدانيه شرف، أنها كانت مهبط الوحي السماوي فحظيت باستقبال الديانات السماوية الثلاث الكبرى، كما أنها نالت من القداسة والقدسية، ما لم تنله منطقة سواها في الكرة الأرضية، فقد وطئتها الأقدام الطاهرة عندما مشى على ثراها الرسل والأنبياء، عليهم، وعلى نبينا الكريم، صلاة الله وسلامه أجمعين، تلكم الآثار الطاهرة المباركة التي زادتها رفعة ومقامًا وشرفًا على شرف، ولم يقف حظها من التقديس والتعظيم عند ذلك الحد بل شرفها الله تعالى بأنها ضمت أشرف وأطهر البقاع على وجه البسيطة، وهي: الحرم المكي والحرم النبوي، والحرم القدسي (بيت المقدس)، وقد جاء في الصحيحين: (ولا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجدي هذا)[5]، وأيضًا، ورد في كتب السيرة النبوية، أن رسول اللَّه، صلى الله عليه وسلم، أقام بقباء أربعة أيام، أسس فيها مسجد قباء وصلى فيه، وهو أول مسجد أسس على التقوى بعد النبوة، قال تعالى:

(لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ) التوبة:108.

[5]/ محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي: الجامع الصحيح المختصر، ج2، ص: 703، تحقيق: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة (بيروت) ط3، 1407ه/ 1987م.

(وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ) الحج:26.

وفي الصحيحين: (عن أبي ذر قال: قلت، يا رسول الله أي مسجد وضع في الأرض أول؟، قال: المسجد الحرام قلت: ثم أي؟، قال: المسجد الأقصى، قلت: كم بينهما؟ قال: أربعون سنة)[6]. وجاء في السيرة إن أول عمل قام به رسول اللَّه، صلى الله عليه وسلم، عند وصوله يثرب (المدينة المنورة) هو إقامة المسجد النبوي، والذي تم تشييده في المكان الذي بركت فيه ناقته، فأمر ببناء المسجد، واشتراه من غلامين يتيمين كان يملكانه، وساهم في بنائه بنفسه. إذن فقد بدأ رسولنا الكريم أول نشاط له ببناء المسجد، الأمر الذي يؤكد على قيمة المسجد في الإسلام وما له من أهمية في حياة المسلمين، يقول تعالى:

(قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُون) البقرة: 144.

(وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ * وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ) البقرة: 149-150.

بعد هذه التوطئة يمكن القول، إن المتتبع لأحداث تاريخ الشرق الأوسط سيجد فيها الكثير من التقطعات بين الرواية التوراتية وبين ما ورد في عدد من آي القرآن العظيم، فمن ذلك، مثلاً، أسماء بعض الأماكن، والشخصيات (الرسل): إبراهيم وزوجتيه سارة وهاجر، وزريته من بعده: إسماعيل، إسحاق، يعقوب، يوسف، موسى وهارون، سليمان، وداود ...، قال تعالى:

(قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) البقرة: 136.

كذلك هناك تشابه في بعض الأحداث التاريخية المعروفة، كقصة يوسف مع إخوته، وما تخللتها من أحداث كثيرة أدت إلى بيعه في مصر، وما نجم عنها، بعد ذلك، من هجرة بني إسرائيل إلى مصر وولادة موسى فيها، وما صحبها من تنازع بين موسى وفرعون مصر؛ الأمر الذي أدى إلى الحدث الأبرز وهو خروج اليهود من مصر والذي شغل حيزًا واسعًا في عدد من أسفار التوراة (العهد القديم)، كما لا يمكننا أن نتجاوز قصة سليمان وملكه العظيم. ولا نريد أن نتوسع في ذكر

---

[6]/ مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري: صحيح مسلم، ج1، ص: 370، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي دار إحياء التراث العربي (بيروت).

الأحداث الروائية والشخصيات التاريخية، التي ذكرت بشكل تفصيلي في عدد من أسفار التوراة، بقدر ما نريد تناول التقاطعات التاريخية بين الرواية التوراتية وبين ما تضمنته آيات القرآن العظيم من إشارات تلميحية أحيانًا وتوضيحية في أحايين أخرى، مركزين على الجوانب التفالعية التي أسهمت في رسم خريطة تاريخية لمنطقة الشرق الأوسط، من خلال ما أوردته الكتب السماوية:

إبراهيم: هو ابن آزر، ولم يذكر القرآن الكريم أعلى من هذا النسب، وإن كنا نجد أن الكتاب المقدس قد توسع في ذكر نسبه، ويسمى أبي الأنبياء[7]، قال تعالى:

﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ العنكبوت: 27.

وسمى خليل الله، وإبراهيم، أما في السريانية، أبٌ رحيم، وفي العبرانية أبو جمهورٍ أو عددٍ كبير، ومن المعروف أنه ابتلي في حياته، قال تعالى:

﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ * وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ (وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ * وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ * وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ * وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ * وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ الأنبياء:69-75.

وتتقاطع هذه الآيات مع ما جاء في التوراة، من حيث الخروج من الأرض وتكثير النسل والعدد والمباركة الربانية:

(فقال الرب لأبرام اذهب من أرضك ومن عشيرتك ومن بيت أبيك إلى الأرض التي أريك.* فاجعلك أمة عظيمة وأباركك وأعظم اسمك. وتكون بركة* وأبارك مباركك ولاعنك ألعنه. وتبارك فيك جميع قبائل الأرض* فذهب أبرام كما قال له الرب وذهب معه لوط) التكوين، الأصحاح: 12، الآية: 1-4.

يعقوب (إسرائيل): هو أبو الأسباط الاثني عشر، وإليه ينسب شعب بني إسرائيل، وإسرائيل، في العبرية، تعني روح الله، وقد ولد في أرض الكنعانيين (فلسطين) وشب في كنف أبيه إسحاق، عليهما السلام، وأمرته أمه أن يسافر إلى بلاد العراق وهي ديار والده، حيث تزوج من ابنتي خاله ووهبت كل منهما جاريتها له فولدت له النسوة الأربع أولاده الاثني عشر الذين يُسمّون بالأسباط، وأصبح كل واحد منهم أبا لسبط من أسباط بني إسرائيل، قال تعالى:

[7]/ الموسوعة العربية العالمية، إصدار: 2004م.

﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ المائدة 12.

ورد في هذه الآية ذكر الأسباط الاثني عشر كما ورد في التوراة، ولكن دون إشارة إلى العبادات المفروضة كإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة:

(جميع هؤلاء أسباط إسرائيل الاثنا عشر. وهكذا كلمهم به أبوهم وباركهم. كل واحد بحسب بركته باركهم) التكوين: الأصحاح:49، ألآية:28.

وقد فقد يعقوب بصره حزنًا على ابنه يوسف الذي مكر به إخوته ثم رّد الله إليه بصره بعد أن أُلقي عليه قميص يوسف، عليه السلام، الذي اجتمع به بعد طول غياب وشدة حزن وألم، وتوفي إسحاق بمصر بعد 17عامًا من اجتماعه بيوسف، عليه السلام، وقد أوصى يعقوب ابنه يوسف أن يدفنه مع أبيه إسحاق ففعل وسار به إلى فلسطين ودفنه عند أبيه إسحاق في مغارة بمدينة الخليل صلوات الله عليهم أجمعين._كذلك أوصى بنيه بالتوحيد والإسلام، يقول تعالى:

﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ * أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾البقرة: 132- 133.

تشير الآياتان إلى ما جاء على لسان إبراهيم وحفيده يعقوب، عليهما السلام، وهما يوصيان ذريتهم بالإسلام والتوحيد، وهو قريب مما ذكر في التوراة:

(ودعا يعقوب بنيه وقال اجتمعوا لأنبئكم ما يصيبكم في آخر الأيام* اجتمعوا واسمعوا يا بني يعقوب. واصغوا إلى إسرائيل أبيكم) التكوين، الأصحاح: 40، الآية:1-2.

<u>يوسف:</u> هو ابن يعقوب بن إسحاق ابن إبراهيم عليهم السلام، وقصته مشهورة ومعروفة في القرآن والتوراة. ويعتبر الحلم الذي رآه في منامه هو المحور الذي دارت حوله بقية حياته، فقد رأى في منامه حلمًا رواه لأبيه الذي طلب إليه ألا يقصَّه على إخوته الذين تملكتهم الغيرة منه لأنه كان أثيرًا عند أبيهم، فطلبوا، في أحد الأيام، إلى أبيهم أن يرسل يوسف ليلعب معهم، وتعهدوا بالمحافظة عليه، فوافق بعد تردد، ولكنهم كانوا قد أجمعوا أمرهم على الكيد به، فألقوا به في بئر عميقة قليلة الماء، ثم جاءوا أباهم عشاء يبكون، زاعمين أن ذئبًا قد افترسه، لكن يعقوب أدرك مكيدتهم ففوض أمره إلى الله، وجاءت سيارة (قافلة من المسافرين ليلاً) فأرسلوا واردهم، فأدلى دلوه في الجب فتعلق به يوسف، فصاح الرجل: يا بشراي هذا غلام، فخرج يوسف سالمًا،

فأخذوه معهم إلى مصر، وباعوه للعزيز، فصار أثيرًا عنده؛ إذ جعله صاحب أمره ونهيه، والمتصرف في كل شيء في بيته.

وما كاد يوسف يخلد إلى حياة هادئة في منزل العزيز حتى جاءته محنة أخرى؛ إذ شغفت به امرأة العزيز وراودته فأبى وامتنع، فادعت بأنه هو من راودها، ولكن تبيَّن لزوجها صدق يوسف وكذبها بعد أن شهد شاهد من أهلها عليها. غير أن الخبر شاع في أرجاء المدينة، فرأى العزيز أن يسجنه، ودخل معه السجن فتيان: أحدهما كبير خبازي الملك، والثاني رئيس سُقَاته. وحينما أصبحا يومًا على رؤيا قد أهمَّتهما أسرعا إليه يستفتيانه، وقد تحقق تأويل يوسف لرؤياهما، فيما بعد، ولبث يوسف في سجنه بعدهما بضع سنين، إلى أن حلم الملك بسبع بقرات سمان يأكلهن سبعٌ عجاف، وسبع سنابل خضر وسبع يابسات، فازعجته الرؤيا وغمته، ودعا السحرة والعلماء يستفتيهم، فلم يفتوه بما يريحه، وعلم عزيز مصر بأمر يوسف عليه السلام من رئيس سقاته الذي كان معه في السجن، فأرسله إليه يستفتيه، فجاءه بالخبر اليقين، فسُرَّ الملك بتأويل رؤياه، فقرّبه منه وعيَّنه أميناً على مخازن الحبوب وقد أصرَّ يوسف على عدم مغادرة السجن إلا بعد تبرئته مما ألصق به من تهمة، فاعترفت امرأة العزيز بكيدها. ومر الجزء الأول من الحلم (سنوات الْخُصب) ثم جاءت السنين المجدبة فاشتد الجدب في الأرض، وعلم سكان بلاد كنعان بوفرة الطعام في مصر، فأرسل يعقوب أولاده ليأتوا بالطعام من مصر، فعرفهم يوسف وهم له منكرون، فجهزهم بالطعام، وأكرمهم ورد لهم بضاعتهم، واشترط عليهم إحضار أخيهم (شقيقه) بنيامين ليحصلوا على الطعام في المرة القادمة، ونسبة لشدة الجدب وسماحة يوسف؛ سمح يعقوب بسفر بنيامين ولكن بموثق غليظ، إلا أن بنيامين قد استُبْقي عند يوسف في رحلتهم الثانية بحجة سرقة صواع الملك، وباءت كل محاولاتهم من أجل عودة بنيامين معهم بالفشل، ولكن يعقوب لم ييأس من رحمة ربه فرد أولاده إلى مصر للمرة الثالثة، ليتحسسوا يوسف وأخيه، وفي هذه المرة كشف لهم يوسف عن نفسه وعاتبهم على ما فعلوه، ثم ما لبثت البشارة أن جاءت بالقميص، فارتد يعقوب بصيرًا، ومن ثم شد رحاله، هو وأهله، إلى مصر، فلما دخلوا على يوسف سجد له أبواه وإخوته الأحد عشر. وكان ذلك تحقيقًا للرؤية، قال تعالى[8]:

﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ * إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ * قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾يوسف: 3-5.

[8]/ يمكن الرجوع إلى تفاصيل القصة كاملة في سورة يوسف.

تكاد أحداث مضمون قصة يوسف تتطابق في كل من آي القرآن العظيم ورواية التوراة، ولا تختلفا إلا من حيث الشكل:

(وقال إني حلمت حلمًا أيضًا وإذا الشمس والقمر وأحد عشر كوكبًا ساجدة لي) التكوين، الأصحاح: 37، الآية: 9.

(وباعوا يوسف للإسماعيليين بعشرين من الفضة. فأتوا بيوسف إلى مصر) التكوين، الأصحاح: 37، الآية:28.

(أما يوسف فأنزل إلى مصر واشتراه فوطيفار خصي فرعون ...) التكوين، الأصحاح: 39، الآية: 1.

(وحدث بعد هذه الأمور أن امرأة سيده رفعت عينيها إلى سوسف وقالت اضجع معي* فأبى...) التكوين: الأصحاح:39، الأية:7-8.

(وارتحل إسرائيل وكل ما كان له ...لا تخف من النزول إلى مصر لأني أجعلك أمة عظيمة هناك* وأنا أنزل معك إلى مصر وأنا أصعدك أيضًا) التكوين، الأصحاح: 46، الآية: 1-4.

<u>موسى:</u> هو ابن عمران، وهو من الأنبياء الذين فصّل القرآن سيرتهم في مواضع عديدة. ولمّا ولد خبأته أمه عن فرعون وجنده، لأنهم كانوا يقتلون الذكور من أبناء اليهود؛ ويعود ذلك لنبوءة تقول بأن ملك الفرعون سينتهي على يد مولود يهودي، فأمر الفرعون بقتل الذكور واستبقاء الإناث، يقول تعالى:

﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آَلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾البقرة: 49.

وحينما خافت افتضاح أمرها أوحى الله تعالى لها أن ترضعه وتلقيه في اليم، ففعلت ذلك وناطت بأخته أن تقصه لتأتيها بخبره، فلم تزل به حتى علمت أنه أدخل دار فرعون، وأنه قد وجد نعمة في عين آسيا (زوجة الفرعون)، فعرضت أخته على آل فرعون أن تدلهم على من مرضعة، فاستحسنوا ذلك ووافقوا عليه. وعاش موسى ، عليه السلام، في بيت عدوه اللدود، فيما بعد، حيث اضطر أن يغادر، بعد افتضاح أمر قتله لأحد المصريين فتوجه إلى مَدْيَن، وهناك تزوج بابنة نبي الله شعيب، وبعد سنوات قرر العودة إلى مصر، وفي الطريق رأى نارًا من بعيد، ولما اقترب منها سمع صوتًا ينبئه بحقيقة من في النار، ثم كانت آية تحويل عصاه إلى حية، وإخراج يده من جيبه بيضاء، كما طلب إليه الذهاب إلى فرعون، ولكنه تهيب ملاقاته فطلب أن يستعين بأخيه هارون، فأتيا فرعون وكلماه ولكنه صد عنهما صدودا برغم ما قُدم له من آيات دامغة، فأخذهم الله بالعقاب إلى أن تمكن موسى من الخروج بقومه قاصدًا الأرض المقدسة (فلسطين)، وهنا

يتجلى الحدث الأعظم للقصة، وذلك عندما أدركهم فرعون ولكن الله نجاهم بآية مبصرة إذ انفلق البحر أمامهم، فعَبَروه بينما انطبق على فرعون وقومه. ولكن ما إن بلغ اليهود سيناء، حتى شكوا حرارة الشمس، فساق الله لهم الغمام وأرسل لهم الرياح تحمل المنَّ والسلوى، وأمر موسى بأن يضرب الحجر فانبجست منه اثنتا عشرة عينًا، وعندما ذهب موسى إلى لقاء ربه أمر موسى أخاه هارون أن يكون خليفته في غيابه ثم سار موسى إلى طور سيناء، ولم يكنْ كثير من بني إسرائيل مؤمنين، فعمد السامري إلى صناعة العجل وطلب إليهم عبادته فانصاعوا له، فغضب موسى لذلك كثيرًا ..، وعندما طلب إليهم موسى دخول الأرض المقدسة (أرض الميعاد) قالوا له: إن فيها قومًا جبارين، فحرمها الله عليهم أربعين سنة[9]، يقول تعالى:

﴿نَتْلُوا عَلَيْكَ مِنْ نَبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ القصص:3.

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ * فَالْتَقَطَهُ آَلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾القصص:7-8.

﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ القصص:11.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآَيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾إبراهيم:5.

﴿فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ* فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ * وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ * فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ القصص:18-22.

﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ الشعراء: 17.

﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ الشعراء:63.

[9]/ يمكن الرجوع إلى تفاصيل أكثر في سورة القصص.

﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ * آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾يونس:90-91.

لقد أوردنا طرفًا من بعض ما ذكره القرآن العظيم، عن موسي وما مر به من أحداث، وسنورد بعضًا مما جاء في التوراة؛ وذلك لأننا لا نرمي إلى سرد التفاصيل بقدر ما نريد أن نشير إلى نقاط التلاقي بين آي القرآن العظيم ورواية التوراة:

(وذهب رجل من بيت لاوي وأخذ بنت لاوي* فحبلت المرأة وولدت ابنًا. ولما رأته أنه حسن خبأته ثلاثة أشهر* ولما لم يمكنها أن تخبئه بعد أخذت له سفطًا من البردي وطلته بالحمر والزفت ووضعت الولد فيه ووضعته بين الحلفاء على حافة النهر* ووقفت أخته من بعيد لتعرف ما ذا يفعل به* فنزلت ابنة فرعون إلى النهر لتغتسل... فرأت السفط بين الحلفاء فأرسلت أمتها وأخذته* فلما فتحته رأت الولد فإذا هو صبي يبكي، فرقت له وقالت هذا من أولاد العبرانيين* فقالت أخته لابنة فرعون هل أذهب وأدعو لك امرة مرضعة من العبرينيات لترضع لك الولد* فقالت لها ابنة فرعون اذهبي. فذهبت الفتاة ودعت أم الولد*... ولما كبر الولد جاءت به إلى ابنة فرعون فصار لها ابنًا ودعت اسمه موسى وقالت إني انتشلته من الماء) التكوين، الأصحلح: 2، الآية: 1-10.

(فرأى رجلاً مصريًا يضرب رجلاً عبريًا من إخوته* فالتفت إلى هنا وهناك ورأى أن ليس أحد فقتل المصري وطمره في الرمل* ثم خرج في اليوم الثاني وإذا رجلان عبريان يتخاصمان. فقال للمذنب لماذا تضرب صاحبك* فقال من جعلك رئيسًا وقاضيًا علينا. أمفتكر بقتلي كما قتلت المصري. ...* فسمع فرعون هذا الأمر فطلب موسى. فهرب موسى من وجه فرعون وسكن في أرض مديان عند البير) الخروج، الأصحاح:2، 11-15.

(وبعد ذلك دخل موسى وقالا لفرعون هكذا يقول الرب إله إسرائيل اطلق شعبي ليعودوا لي في البرية) الخروج، الأصحاح: 5، الآية: 1.

(ومد موسى يده على البحر. فأجرى الرب الريح شرقية شديدة كل اليل وجعل البحر يابسة وانشق الماء* ... فدفع الرب المصريين في وسط البحر. فرجع الماءوغطى مركبات وفرسان جميع جيش فرعون الذي دخل وراءهم في البحر. ولم يبق منهم ولا واحد) الخروج، الأصحاح: 14، الآية: 26-28.

داود: نبي من أنبياء الله، وهو من سبط يهوذا بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، عليهم السلام، أعطاه الله الزبور وآتاه الحكمة وفصل الخطاب، كما جمعت له النبوة والملك، وعرف بجمال الصوت، وإذا قرأ الزبور تكف الطيور عن الحركة، وتقف على الأغصان تُرجِّع بترجيعه، وتسبح بتسبيحه، والجبال تردد معه في العشي والإبكار، وكان كثير العبادة يقوم الليل ويصوم النهار، وعُلِّم منطق الطير، وأتقن صنعة الدروع. قال تعالى:

﴿قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ * وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ * فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ البقرة249-:251.

وقد ورد في رواية التوراة ما يشير إلى تقارب المعنى بين الذي ذكره القرآن العظيم في الآية 251 من سورة البقرة، وبين ما جاء في الأصحاح17:

(فقال داود للفلسطيني أنت تأتي بسيف وبرمح وأنا آتي إليك باسم رب الجنود وإله صفوف إسرائيل الذين عيرتهم*... ومد داود يده للكنف وأخذ منه حجرًا ورماه بالمقلاع وضرب الفلسطيني في جبهته فارتز الحجر في جبهته وسقط على وجهه إلى الأرض) صموئيل الأول، الأصحاح: 17، الآية: 45-49.

(وقد قال لك الرب أن ترعى شعبي إسرائيل وأنت تكون رئيسًا على إسرائيل) صموئيل، الأصحاح: 5، الآية:2.

سليمان: هو نبي الله سليمان بن داود، عليهما السلام، من سبط يهوذا بن يعقوب، بن إسحاق، وقد جمع، كوالده، بين النبوة والملك، فورث أباه وعمره ثلاث عشرة سنة، إلا أن ملكه كان أقوى وأعظم، وهو باني بيت المقدس، الذي اكتمل في بعد سبع سنين، كما بنى الهيكل (هيكل سليمان)، بعد فراغه من بناء بيت المقدس، وقد وهب الله له ملكًا عظيمًا، وأنعم عليه بكثير من النعم: سخّر له الريح والجن ومردة الشياطين وأسال له عين القطر، وكان جنده مؤلفًا من الإنس والجن والطير، وقد فصل القرآن العظيم قصته مع ملكة سبأ، قال تعالى:

﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ * فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾ النمل:36.

﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ * فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ﴾ ص: 35-36.

وفي التوراة:

(وسمعت ملكة سبأ بخبر سليمان لمجد الرب فأتت لتمتحنه بمسائل* فأتت لأورشليم بموكب عظيم جدًا بجمال حاملة أطيابًا وذهبًا كثيرًا جدًا وحجارة كريمة وأتت إلى سليمان وكلمته بكلام كان بقلبها) الملوك الأول: الأصحاح: 10، الآية: 1-2.

(فتعاظم ملك سليمان على كل ملوك الأرض في الغنى والحكمة. وكانت كل الأرض ملتمسة وجه سليمان لتستمع حكمته التي جعلها الله في قلبه) الملوك الأول، الأصحاح: 10، الآية: 23-24.

المسجد الأقصى ومكانته
في نفوس المسلمين

توجد صلات وارتبطات قديمة بين المسجد الأقصى والعرب، لاسيما المسلمين منهم، إذ إن العلاقة بينهما قديمة ووثيقة، سواء أكان ذلك قبل الإسلام أو بعده، فقد ارتبط العرب، قبل الإسلام، بالتجارة مع بلاد اليمن والشام، في ما عرف برحلتي الشتاء والصيف، قال تعالى:

﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ * إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾قريش:1-2.

ثم توطدّت تلكم العلائق والصلات حين اتخذ الرسول الكريم، صلى الله عليه وسلم، من المسجد الأقصى قبلة للصلاة، حتى السنة الثانية للهجرة، قبل أن تتحول إلى بيت الله الحرام (الكعبة المكرمة)، فيما بعد، كما ارتبط المسجد الأقصى بواحدة من أعظم الحوادث في تاريخ الإسلام والمسلمين، وهي حادثة الإسراء والمعراج، قال تعالى:

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّه هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ الاسراء:1.

وقد مثلت تلك الحادثة الكبرى (الإسراء والمعراج) علامة فارقة في التاريخ الإسلامي، علامة مايزت بين المسلمين أنفسهم، من حيث التمسك بالإيمان الحق ومن حيث الوقوف على الحرف لدى البعض من المسلمين، الذين ارتجوا عند سماعهم لحديث الإسراء، ناهيك بالمعراج، فقد ورد في كتب السيرة: "أسري برسول الله، صلى الله عليه وسلم، ليلة سبع عشرة من شهر ربيع الأول قبل الهجرة من شعب أبي طالب إلى بيت المقدس وساق الحديث إلى أن قال : وقال بعضهم في الحديث: فتفرقت بنو عبد المطلب يطلبونه حين فُقد يلتمسونه حتى بلغ العباس ذا طوى فجعل يصرخ: يا محمد يا محمد فأجابه رسول الله: لبيك، فقال: يا بن أخي عنيت قومك منذ الليلة فأين كنت؟ قال: أتيت من بيت المقدس. قال: في ليلتك!، قال: نعم. قال: هل أصابك إلا خير؟، قال: ما أصابني إلا خير. وقالت أم هانئ[10]: ما أسري به إلا من بيتنا: نام عندنا تلك الليلة بعد ما صلى العشاء فلما كان قبل الفجر أنبهناه للصبح فقام فلما صلى الصبح قال: يا أم هانئ جئت إلى بيت المقدس فصليت فيه ثم صليت الغداة معكم، فقالت: لا تحدث الناس فيكذبونك، قال: والله لأحدثنهم فأخبرهم فتعجبوا".

وأيضًا جاء، في ذات السياق،"فلما أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم في قومه وأخبرهم اشتد تكذيبهم له وسألوه أن يصف لهم بيت المقدس فجلاه الله له حتى عاينه وجعل يخبرهم به ولا يستطيعون أن يردوا عليه شيئا وأخبرهم عن عيرهم التي رآها في مسراه ومرجعه وعن وقت

[10]/ أبو محمد عبد الملك بن هشام المعافري: سيرة ابن هشام، ج1، ص: 403، المكتبة العلمية (بيروت).

قدومها وعن البعير الذي يقدمها فكان كما قال: فلم يزدهم ذلك إلا ثبورا وأبى الظالمون إلا كفورا. (فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا) الإسراء: 99"

وفي عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب تم حصار مدينة القدس من قبل جيوش المسلمين، بعد أن واجهوا مقاومة عنيدة من الروم الذين استجابوا للصلح، بشرط أن يأتي أمير المؤمنين عمر. فتمت مراسلته من قبل القائد (أبو عبيدة عامر بن الحراح)، واستشار عمر الصحابة فأشار علي بن أبي طالب عليه بالمسير ورأى عثمان بن عفان غير ذلك، فأخذ عمر برأي علي وولاّه على المدينة وسار إلى بيت المقدس وصالح النصارى وتسلم مفاتيح المدينة، ثم دخل المسجد من حيث دخل رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يوم الإسراء وصلى فيه مع المسلمين، ثم سار إلى الصخرة وجعل المسجد في قبلة بيت المقدس.

وإن نحن أنعمنا النظر قليلاً، في الحادثة، فسنجد أن مسألة المعراج، برسول الله، صلى الله عليه وسلم، لم تتم من مكة (المسجد الحرام) مباشرة إلى السماء، وإنما كان الإسراء، في البدء، إلى المسجد الأقصى، ومن ثم المعراج إلى السماء من المسجد الأقصى، ولاشك في أن في ذلك دلالة واضحة وإشارة بينة، لا تخطئها العين، تشير إلى ما بين المسجدين، المسجد الحرام والمسجد الأقصى، من صلات وارتباطات عميقة ووثيقة بدأت تنسج عراها عندما قدم إبراهيم، عليه السلام، من فلسطين، مع زوجه هاجر المصرية وابنه إسماعيل، عليه السلام، إلى مكة المكرمة التي كانت عبارة عن واد جاف غير ذي زرع، فأسكن ذريته فيه ثم رجل عنهم، قال تعالى:

﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾إبراهيم: 37.

وتستمر الأحداث وتتواصل حيث يشب إسماعيل، عليه السلام، عن الطوق ويقوم بمساعدة أبيه على بناء الكعبة (البيت المحرم)، كأول بيت وضع للناس، في مكة المكرمة التي أصبحت حرمًا آمنًا يأوي إليه الكثير من الناس، قال تعالى:

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ * فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ آل عمرا: 96-97.

﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ * وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ * وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا

مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ * رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ * إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ * وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ * أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ* تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ) البقرة: 125-134.

وتسير الأحداث التاريخية بشكل متواتر ومتقارب، في منطقة الشرق الأوسط، بحيث تتشابك مسارات الوقائع التاريخية عندما يموت إبراهيم، عليه السلام، بفلسطين ويدفن ببلدة حبرون التي عرفت بمدينة الخليل، تيمنًا باسمه، أما ابنه إسماعيل فيموت ويدفن بمكة المكرمة، زهناك ضلع ثالث في هذا المثلث يتمث في مصر التي جاءت منها هاجر أم إسماعيل. وكأن أحداث التاريخ تريد أن تلفت النظر إلى أن تلك الأمم والشعوب التي تصاهرت وتناسلت، في منطقة الشرق الأوسط، تنتمي إلى أصل مشترك، وهو إبراهيم جد كل من العرب واليهود معًا.

الصرعات الدينية والتجاذبات السياسية

بين اليهود والعرب

لا شك في أن النزع العربي أو الفلسطيني الإسرائيلي هو من أقدم الصراعات التي عرفها تاريخ الإنسان وأطولها وأدومها، فهو نزاع عميق الجذور وضارب في القدم، وقد مرت عليه القرون الطوال منذ أن دبّ وإلى يومنا هذا، ولا يمكن حصر النزاع في الجانب السياسي فقط لأنه صراع تاريخي وديني عقدي بامتياز، فالتوراة ترسم كل شئ في إسرائيل، بدءًا من ثقافة الطفل في المدارس، إذ بناء على توجيه من ديفيد بن جوريون، أول رئيس وزراء لإسرائيل، فإن الدين اليهودي يدرس كمادة إجبارية، ويقول مناحيم بيجن: لقد وعدنا الرب هذه الأرض ولنا الحق فيها. ويقول موشي دايان: إذا كنا نملك التوراة وإذا كنا نعتبر أنفسنا شعب التوراة؛ فينبغي أن نملك أيضًا بلاد التوراة، بلاد القضاة أرض أورشليم وحيرون وأريحا[11]؛ وقد سبق وتحدثنا عن موقع القدس في نفوس المسلمين، إذًا فكلا الطرفين يقدسان المكان المتنازع حوله، فاليهود يزعمون أن هيكلهم (هيكل سليمان) موجود تحت قبة المسجد الأقصى ويصرون على ذلك، بينما لم يعثر الباحثون الأركليوجيون (علماء الآثار) وعلماء التاريخ، على أي أثر يشير إلى بناء ذلك الهيكل

[11]/ محمد مورو: الحرب الصليبية من البابا أربا إلى البابا بوش، ص: 282، مكتبة جزيرة الورد (القاهرة) 2005م.

في مدينة القدس، بالرغم من أن البحث قد شمل جميع المناطق الأثرية والتي يعتقد أن ذلك الصرح العظيم قد أقيم بها، كما أن البحث قد شمل جميع الحقب التاريخية منذ ما قبل الميلاد وحتى اليوم. وليس هذا فحسب بل إن أولئك النفر من الباحثين، ومن بينهم علماء يهود، قد وجدوا الكثير من التناقض بين ما أوردته التوراة من رواية للأحداث التاريخية (الرواية التوراتية) وبين الواقع المشاهد والملموس الذي أكدته حفرياتهم وما وجدوه فيها من لقى وآثار قديمة تكاد تنفي نفيًا قاطعًا وجود أي أثر، ولو ضئيل، لليهود في منطقة القدس في الفترة التي حددتها الرواية التوراتية، بل على العكس، لقد انقلب السحر على الساحر، فقد أكدت تلك البحوث والدراسات، بما لا يدع مجالاً للشك، أن فلسطين هي منطقة كنعانية وأن اليهود قد وفدوا إليها وعاشوا مع سكانها الأصليين، ومنهم من اندمج في الثقافة الكنعانية، إذ أن اليهود، في بداية أمرهم، كانوا مجموعة من القبائل الرعوية الرحل وأصلهم من بادية العرب، وكانوا يتنقلون للبحث عن الماء والعشب لحيواناتهم، وعندما وصلوا إلى فلسطين اتخذوها موطنًا ثابتًا ولم يتم للعبرانيين الاستقرا في فلسطين إلا بعد مرور قرنين من الزمن (1400–1200ق م)، وفي هذه الفترة كان البعض منهم يعاني من قسوة العيش والإضطهاد في مصر الفرعونية، إلى أن قيض لهم الخلاص على يد زعيمهم الباسل موسى...، وعندما وصل اليهود فلسطين وجدوا فيها الكنعانيين الذين كانوا يقيمون في مدن زاهرة تطوقها الأسوار الحصينة فلم يتمكنوا إلا من فتح المدن الضعيفة منها. وقد انقسم العبرانيون إلى مجموعتين، مجموعة تأثرت بالمدنية الكنعانية فتركوا الخيام وسكنوا المنازل ولبسوا الثياب الزاهية بدلاً من الجلود التي كانوا يستعملونها، فلم يعد ثمة فرق بينهم وبين الكنعانيين، أما القسم الثاني، من العبرانيين، فقد استوطنوا جنوب فلسطين، القاحل، وظلوا متمسكين بعادتهم وتقاليدهم، الأمر الذي قاد إلى بذر بذور خلاف، امتد لحقب طوال، بين المجموعتين، وعندما ظهر داوود، عليه السلام، وأصبح ذا شأن ساندته المجموعة الأولى وأيدته، إلى أن تمكن من فتح القدس في العام 1000ق م، وجعل منها عاصمة ملكه[12].

وقد بينت الأبحاث أن أوّل ظهور لاسم القدس (أورسالم)، وهو إله كنعاني يعتقد أنه كان يحمي المدينة، كان قد ظهر في الرسائل الفرعونية التي عثر عليها في تل العمارنة بمصر، حيث أرسل ملك المدينة أي القدس "عبد خيبا" رسائل إلى الفرعون المصري أمنحوتب الرابع، يطلب إليه المساعدة على صد هجمات أهل البادية "الخبيرو" وهم العبرانيون، ويقول نص الرسالة: «إن هذه الأرض، أرض أورسالم، لم يعطن إياها أبي وأمي، ولكن أيدي الملك القوية هي التي ثبتتني في دار آبائي وأجدادي، ولم أكن أميرًا بل جنديًا للملك وراعيًا تابعًا للملك.. منحت ملكية الأرض

[12]/ جايمس هنري برستيد: العصور القديمة، ص: 222-224، ترجمة: داود قربان، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر (بيروت) 1983م.

أورسالم إلى الملك إلى الأبد ولا يمكن أن يتركها للأعداء»[13]. ولعل في هذا ما يؤكد على أن أورسالم أو أورشليم (Urusalim) لم تكن يهودية فاسم أورشليم ليس عبريًا أصيلاً، وإنما هو اسم قديم وجد قبل العبريين بشهادة نص تل العمارنة، المشار إليه آنفًا، وبدليل أن اليهود وجدوا صعوبة في كتابة اسمها باللغة العبرية، وهناك دليل آخر يدل على أن القدس مدينة كنعانية وهي بالتالي مدينة عربية، يقول هيرمن، في كتابه تاريخ إسرائيل: "إن اليبوسيين من أهلها الأصليين قد بقوا مقيمين فيها وأنها صارت حاضرة ذت طابع عالمي تسكنها جماعت عرقية متعددة. وبما أنها لم تنتم إلى إسرائيل أو يهوذا، فقد كانت بمثابة جسم غريب في الدولة الموحدة الجديدة[14]. وحتى التوراة نفسها تؤكد أن القدس كانت مدينة كنعانية قبل أن يستولى عليها اليهود، حيث جاء في التوراة:

(فاعتزل الواحد عن الآخر.* أبرام سكن في أرض كنعان ولوط سكن في مدن الدائرة ونقل خيامه إلى سدوم) التكوين،الأصحاح:13، 42-43

(في ذلك اليوم قطع الرب مع أبرام ميثاقًا قائلاً. لنسلك أعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات) تكوين، الأصحاح: 14، 18.

(ثم أتى يعقوب سالمًا إلى مدينة شكيم التي في أرض كنعان.) التكوين، الأصحاح33، 18.

(قال يعقوب لشمعون ولاوي كدرتماني بتكريهكما إياي عند سكان الأرض الكنعانيين والفرويين وأنا نفر قليل) التكوين، الأصحاح: 34، 30.

(وسكن يعقوب في أرض غربة أبيه في أرض كنعان) التكوين، الأصحاح: 37، 1.

(أما يوسف فنزل إلى مصر واشتراه فوطيفار خصي فرعون) التكوين، الأصحاح:39، 1.

(فصعدوا من مصر وجاءوا إلى كنعان إلى يعقوب أبيهم) التكوين، الأصحاح:45، 25.

(وقال يعقوب ليوسف الله القادر على كل شئ ظهر لي في لوز في أرض كنعان وباركني) التكوين، الأصحاح: 48، 3.

ولا تمثل النصوص التوراتية، الآنفة الذكر، إلا النذر اليسير مما أوردته التوراة من تصريحات وتلميحات تؤكد أن فلسطين كانت أرضًا كنعانية وهي بالتالي عربية لا جدال في ذلك، وبهذا يمكن القول: وشهد شاهد من أهلها، أي أن اليهود، أنفسهم، ومن خلال كتابهم المقدس (التوراة)، الذي يتخذونه زريعة لاحتلال أرض فلسطين، يشهد عليهم بأنهم دخلاء على منطقة فلسطين،

---

[13]/ الموسوعة العربية العالمية اصدار 2004م.

[14]/ توماس ل تومبسون: القدس، أورشليم العصور القديمة بين التوراة والتاريخ، ترجمة: فراس السواح، ص: 364، مرز دراسات الوحدة العربية، (بيروت) 2003م.

وليس لهم أي حق سوى ادعاء باطل، فهم يستندون، في أحقيتهم لفلسطين، إلى ما جاء في كتابهم الذي كتبوه بأيديهم وخطته أقلامهم، يقول تعالى:

(وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آَمَنُوا قَالُوا آَمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ * أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ *وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ * فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ) البقرة: 76-79.

فإذا لم يكون اليهود أمينين على عقيدتهم التي يدينون بها، فهل يمكن الأخذ بإدعاءاتهم التاريخية الكاذبة والمضللة والتعامل معها كدليل يثبت صدق دعواهم؟؟، يقول برستد: وقد كان أعظم كشف جاوز حد المألوف في هذه الناحية هو أننا عرفنا أن حكمة "أمينموبي"، التي حفظت لنا في ورقة مصرية بالمتحف البريطاني، قد ترجمت إلى العبرية ...، وبذيوعها في فلسطين صارت مصدرًا استقى منه جزء بأكمله من كتاب الأمثال في التوراة،...، لقد أضاف هذا الكشف أهمية بعيدة المدى إلى أن التقدم الحضاري، في الممالك التي تحيط بفلسطين، كان أقدم بآلاف السنين من التقدم العبري، وقد أصبح الآن من الواضح الجلي أن التقدم الاجتماعي والخُلقي الناضج الذي أحرزه البشر في وادي النيل، والذي يعد أقدم من التقدم العبري بثلاث آلاف سنة، قد أسهم مساهمة فعلية في تكوين الأدب العبري الذي نسميه نحن التوراة، وعلى ذلك فإن إرثنا الخُلقي مشتق من ماض إنساني واسع المدى أقدم بدرجة عظيمة من ماضي العبرانيين، وإن هذا الإرث لم ينحدر إلينا من العبرانيين، بل جاء عن طريقهم[15].

لقد أكد العديد من الباحثين، ومن بينهم يهود، قد أكدوا أن التوراة لا يمثل وثيقة تاريخية يمكن أن يعتد بها ويعتمد عليها، فهذا هو اسرائيل فنكلشتاين (Israel Finkelstein) يدعو إلى تحرير علم الآثار من سطوة النص التوراتي، ويقول توماس: إلى وقت قريب جدًا كان الاهتمام بكتاب العهد القديم وبأصوله في إسرائيل ويهوذا مسيطرًا على البحث التاريخي الغربي. وإلى ما قبل الخمس والعشرين سنة الماضية نجد أنه حتى تاريخ عصر البرونز (3000-1200ق.م) كان يعالج من منظور بداية العبرانيين باعتبارها مقدمة ومدخلاً لتاريخ بني إسرائيل[16]. لقد تمكن الإسرائيليون من خداع العالم بما سجلوه في كتابهم المقدس وانطلت الحيلة على أعداد هائلة من المؤرخين الذين سيطرت على أذهانهم الفرية اليهودية لعهود طوال، لقد كان للنص المقدس سلطة

---

[15]/ جيمس هنري بستد: فجر الضمير، ص: 26، ترجمة: سليم حسن، الهيئة المصرية العامة للكتاب (القاهرة)، 2015م.

[16]/ توماس ل تومبسون: القدس، أورشليم العصور القديمة بين التوراة والتاريخ، ترجمة: فراس السواح، ص: 23، مرز دراسات الوحدة العربية، (بيروت) 2003م.

أكبر بخصوص ادعاء اليهود بحق (العودة) الذي يمستمد من العهد القديم، شرعية أخلاقية مزعومة[17]. حيث نجد في التوراة:

(في ذلك اليوم قطع الرب مع أبرام ميثاقًا قائلاً. لنسلك أعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات) التكوين، الأصحاح: 14، 18.

كذلك هناك قرينة أخرى، منتزعة من بين دفتي التوراة، تضحد حديث اليهود وفريتهم بأحقيتهم التاريخية والدينية في السيطرة على منطقة فلسطين، وهي أن التوراة، الموجود بين ظهرانينا، اليوم، ليس بكتاب سماوي مقدس، كما يزعمون، والدليل على ذلك أن التوراة نفسه قد تم تأليفه، من قبل عدد من الكتاب والمؤلفين، وعلى فترات وحقب متعاقبة، ربما امتدت لحوالي 500 عام.

إن الكشوف الأثرية الأخيرة قد أعادت العلماء إلى رشدهم وصوابهم؛ الأمر الذي حدا ببعضهم إلى إعادة صياغة ما كتبوه من قبل ليؤكدوا أن سيرهم خلف الرواية التوراتية قد ضللهم وأبعدهم عن الحقيقة التاريخية التي تشير إلى وجود العديد من المغالطات غير المنطقية، إذ إن التاريخ في فلسطين الشمالية عقب 772ق.م لم يبحث بما فيه الكفاية حتى الآن فقد عتم عليه البحث التاريخي التوراتي المتأثر بفكرة العهد القديم ...، وخلال القرون الخمسة الأولى، التي تلت سقوط السامرة، يصمت النص التوراتي صمتًا تامًا عن القسم الأكبر من سكان فلسطين ...، لقد عتم التاريخ على أولئك السكان لأن المؤرخين المعاصرين قد مشوا في ركاب الصمت التوراتي، وفكرة (القبائل المفقودة)، و(الأرض الخالية). وسنورد فيما يلي بعضًا مما يثبت تناقضاتهم والتي قدمها عدد من ذوي الخبرة والدراية البحثية في مضمار الأديان والتاريخ والآثار قام بجمعها، توماس، في كتاب بعنوان: " القدس أورشليم العصور القديمة، بين التوراة والتاريخ" وهو عبارة عن مجموعة أوراق بحثية تم تقديمها في مؤتمر عقد بعمان (الأردن) 12-14 أكتوبر 2001م، وكان عنوانه "أورشليم في التاريخ القديم، بين التاريخ والرواية التاريخية". وسنورد فيما يلي طرفًا مما خطته أقلام أولئك العلماء في تلك البحوث التي تم تقديمها في المؤتمر:

- **<u>توماس</u>**[18]: "إن المثير للاهتمام فعلاً أن نص مرنفتاح قد أعطانا أول استخدام مبكر لاسم السلف (إسرائيل) باعتباره مجازًا أدبيًا يشير إلى السلف الأول للشعب الفلسطيني، ووظيفة المجاز اللغوي تشبه وظيفته في قصة يعقوب، الذي بعد أن صارع الرب[19]، في سفر التكوين، أعطاه الرب اسم (إسرائيل)"، " أما أورشليم فلا يوجد ما يدل على أنها قد سيطرت على هذا الإقليم إلا في وقت متأخر جدًا. ونحن لا نملك الكثير عن أورشليم في

[17]/ توماس ل تومبسون، وآخرون: القدس، أورشليم العصور القديمة بين التوراة والتاريخ، ص: 67. ترجمة: فواز السواح مركز دراسات الوحدة العربية، (بيروت) 2003م.

[18]/ توماس ل تومبسون، أستاذ جامعي يعمل في معهد تفسير الكتاب المقدس بجامعة كوبنهاجن بالسويد

[19]/ التوراة، سفر تكوين: 32، الآية: 22-29.

القرن 10ق.م ...، لم تكن أورشليم سوى بلدة صغيرة عند رأس وادي أيالون، ولم تتحول إلى مدينة مهمة تتحكم بمنطقة الهضاب الجنوبية إلا في وقت متأخر جدًا من القرن 8ق.م"[20].

- **مايكل[21]:** لعل أكثر ما صدمني في الروايات التوراتية هو تلك الرابطة العضوية بين الوعد الإلهي بالأرض والأوامر الواضحة بإفناء السكان المحليين. ...، في قصة الخروج يتم تصوير يهوه كإله رؤوف بشعبه عازم على تخليصه من حياة البؤس والزل في مصر وقيادته إلى أرض تفيض لبنًا وعسلاً ... " أرض الكنعانيين والحيثيين والأمريين والرزيين والحوبينواليبوسيين" أي أن الأرض الموعودة، التي تفيض باللبن والعسل، لم يكن ينقصها السكان المحليون. وسوف تفيض بالدم...[22]" "صار من الواضح عندي، تدريجيًا، أن بعض النصوص التوراتية قد ساهمت في معناة العديد السكان المحليين، فقد قدمت مرويات سفر التثنية المرجعية الأخلاقية لتدمير ثقافات أمريكا اللاتينية خلال الغزو الأوربي للعالم الجديد، ولنهب واستغلال سكان جنوب أفريقيا من قبل البيض المتأفرقين، وصولاً إلى مطلع التسعينات، وللمشروع الصهيوني الذي ما زال قائمًا على نهب واستغلال العرب الفلسطينيين. فهذه المرويات تمتلك القدرة لتوليد اتجاهات عدوانية لدى قرائها"[23].
- **مارغريت[24]**: "إن أورشليم القرن 10ق.م لم تكن أكثر من بلدة صغيرة لعبت دور السوق المحلي للمنطقة". "إن البقايا الأثرية التي جرى اكتشافها حتى الآن لتدل على أن أورشليم كانت خلال القرنين9 و10ق.م بلدة متواضعة تشغلها بصورة رئيسة الأبنية الإدارية ...، ولم يسكن بها أكثر من ألفي نسمة". "إذا كان لنا أن ننظر إلى أورشليم باعتبارها مدينة مقدسة، مدينة خاصة بنظر الإله وبنظر الناس، فإن القرن7ق.م، في اعتقادي، كان أول فترة زمنية حملت للمدينة مكانة مميزة"[25].
- **فراس[26]:** منذ أن ولد علم الآثار، كحقل معرفي مستقل، في القرن19م وإلى يومنا هذا. لم تحظ منطقة، في العالم، بنصيب من التنقيب الأثري مثل ما حظيت منطقة فلسطين

---

[20]/ توماس ل تومبسون، وآخرون: القدس، أورشليم العصور القديمة بين التوراة والتاريخ، ص: 27. ترجمة: فواز السواح مركز دراسات الوحدة العربية، (بيروت) 2003م.
[21]/ مايكل بريور: محاضر أول في اللاهوت بكلية سانت مري الجامعية.
[22]/ التوراة، سفر الخروج: الأصحاح: 23، الأية: 23-25.
[23]/ توماس ل تومبسون، وآخرون: القدس، أورشليم العصور القديمة بين التوراة والتاريخ، ص: 59. ترجمة: فواز السواح مركز دراسات الوحدة العربية، (بيروت) 2003م.
[24]/ مارغريت تشاينر: أستاذ بجامعة ليدن.
[25]/ توماس ل تومبسون، وآخرون: القدس، أورشليم العصور القديمة بين التوراة والتاريخ، ص: 121. ترجمة: فواز السواح مركز دراسات الوحدة العربية، (بيروت) 2003م.
[26]/ فراس السواح، باحث مستقل.

...، أما دوافع هذا النشاط المحموم فقد أوضحها لنا، منذ البداية، بيان تأسيس صندوق التنقيب في فلسطين (Palestine Exploration Fund)، الذي تأسس ببريطنيا 1865م ...، إن الهدف الرئسي لنشاطاتها هو: التحري الدقيق والمنهجي لآثار وطبوغافيا وجيولوجيا لعادات وتقاليد الأرض المقدسة، من أجل توضيح مسائل الكتاب المقدس. وبذلك ولد علم الآثار في فلسطين كعلم آثار توراتي، ووضع في خدمة اللاهوت ...، وقد بقي علم الآثار في فلسطين أسيرًا لمصادر تمويله التي غلب عليها التوجه اللاهوتي، حتى بعد أن انتقلت رعاية الحملات التنقيبية إلى كبريات الجامعات في أوربا والولايات المتحدة ...، ولكن من عجائب المفارقات أن كل هذا النشاط المحمود الذي قاده منقبون يحملون التوراة بيد والمعول باليد الأخرى، قد أدى أخيرًا إلى عكس الغاية المقصودة منه. وبدأت حلقات الرواية التوراتية، واحدة إثر أخرى، تخرج من مجال التاريخ إلى مجال الأدب الديني"[27]. إن تحويل محور تركيزنا، في معالجة تاريخ فلسطين وأورشليم، عن العهد القديم (التوراة) واعتباره مجرد قصة أصول لليهودية والمسيحية؛ من شأنه أن يقصينا عن ذلك السعي التاريخي ذي الطابع اللاهوتي، والمتصل بصنع الهوية. ومن وجهة نظر القانون الدولي وحقوق الإنسان، اليوم، فإن هذه المرويات[28] تعتبر بمثابة جرائم حرب وفظائع ضد الإنسانية.

إسماعيل عليه السلام

بين اليهودية والإسلام

إسماعيل هو ابن إبراهيم، عليهما السلام، من هاجر الجارية المصرية التي أهداها ملك مصر لسارة، فوهبتها لزوجها إبراهيم فأنجبت له إسماعيل؛ مما جعل الغيرة تنشب أنيابها وأظافرها في قلب سارة تجاه جاريتها، فطلبت إلى إبراهيم أن يأخذهما بعيدًا عن عينها، وقد تحقق لها ذلك، عندما أوحى الله تعالى إلى خليله أن يذهب بإسماعيل وأمه، ويسكنهما بوادٍ غير ذي زرع. وقد شكلت حادثة الذبح، فيما بعد، نقطة بارزة وعلامة بارزة في حياة الأب والابن معًا، فقد اقتضت الحكمة الربانية أن يبتلى إبراهيم بابنه، يقول تعالى:

﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ * فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ * فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ * فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ * وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ * قَدْ

---

[27]/ توماس ل تومبسون، وآخرون: القدس، أورشليم العصور القديمة بين التوراة والتاريخ، ص: 168. ترجمة: فواز السواح مركز دراسات الوحدة العربية، (بيروت) 2003م.

[28]/ المقصود بالمرويات، ما جاء في التوراة في عدد من أصحاحات سفر الخروج: 2، 3، 7، 20، 23. والمزامير: 80، 205.

صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ * وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ الصافات: 100-107.

ولسنا هنا في معرض الحديث التفصيلي عن تلك الحادثة، التي تحدث عنها القرآن العظيم، بقدر ما نحن مهتمين بتناقض الرواية التوراتية وصمتها عن سيرة إسماعيل وإغفالها لذكره إلا على استحياء وفي إشارت مقتضبة ومختصرة، في حين نجد أنها قد صبت كل اهتمامها وتوسعت بشكل كبير من أجل اثبات تلك الحادثة وربطها بأخيه إسحاق باعتباره هو من طُلب إلى إبراهيم التضحية به، ففي التوراة:

(وحدث بعد هذه الأمور أن الله امتحن إبراهيم. فقال له يا إبراهيم. فقال هأنذا.* فقال خذ ابنك وحيدك الذي تحبه إسحاق واذهب إلى أرض المريا وأصعده هناك محرقة على أحد الجبال الذي أقول لك.* فبكر إبراهيم صباحًا وشد على حماره وأخذ اثنين من غلمانه وإسحاق ابنه وشقق حطبًا لمحرقة وقام وذهب إلى الموضع الذي قال له الله.* وفي اليوم الثالث رفع إبراهيم عينيه وأبصر الموضع من بعيد.* فقال إبراهيم لغلاميه اجلسا أنتما هنا مع الحمار. وأما أنا والغلام فنذهب إلى هناك ونسجد ثم نرجع إليكما.* فأخذ إبراهيم حطب المحرقة ووضعه على إسحاق ابنه وأخذ بيده النار والسكين. فذهب كلاهما معًا.* وكلم إسحاق إبراهيم أباه وقال يا أبي. فقال هأنذا يا بني. هو ذا النار والحطب ولكن أين هو الخروف للمحرقة.* فقال إبراهيم الله يرى له الخروف للمحرقة يا بني فذهبا كلاهمامعًا.* فلما أتيا إلى الموضع الذي قال له الله بنى هناك إبراهيم المذبح ورتب الحطب وربط إبراهيم إسحاق ابنه ووضعه فوق المذبح.* ثم مد إبراهيم يده وأخذ السكين ليذبح ابنه.* فناداه ملاك الرب من السماء وقال إبراهيم إبراهيم. فقال هأنذا.* لا تمد يدك إلى الغلام ولا تفعل به شيئًا. لأني الآن علمت أنك خائف الله فلم تمسك ابنك وحيدك عني.* فرفع إبراهيم عينيه وإذا كبش وراءه ممسكًا في الغابة بقرنيه. فذهب إبراهيم وأخذ الكبش وأصعده محرقة عوضاً عن ابنه.) التكوين، الأصحاح: 22، الآية:1-13.

ولكن هذه هذه الآيات التوراتية التي ذكرت في الأصحاح 22، تتعارض مع ما جاء ذكره في أصحاحين هما: الأصحاح 17 والأصحاح 21، إذ تقول التوراة:

(فولدت هاجر لأبرام ابنًا. ودعا أبرام اسم ابنه الذي ولدته هاجر إسماعيل* كان أبرام ابن ست وثمانين سنة لما ولدت هاجر إسماعيل لأبرام) التكوين، 17، الأية: 15-16.

ثم تقول التوراة في الأصحاح 21 من سفر التكوين:

(فحبلت سارة وولدت لأبراهيم ابنًا في شيخوخته ... وكان أبراهيم ابن مئة سنة حين ولد إسحاق ابنه) التكوين، الأصحاح:21، الآية 2-6.

ولعل التناقض من الوضوح بحيث لا يحتاج إلى تبيين، ثم بعد أن تحبل سارة وتلد ابنها إسحاق تأتي التوراة، وفي ذات السفر ونفس الأصحاح 21، لتقول:

(ورأت سارة ابن هاجر المصرية التي ولدته لإبراهيم يمزح.* فقالت لإبراهيم أطرد هذه الجارية وابنها. لأن ابن هذه الجارية لا يرث مع ابني إسحاق) التكوين، الأصحاح: 21، الأية: 14-15.

ولا شك في أن الآيات السالفة الذكر تدل دلالة واضحة على أن سارة لم تكن قد أنجبت ابنها إسحاق بعد، لأنه ولد وعمر إبراهيم مئة عام، في حين أُنجب له إسماعيل وهو ابن ست وثمانين سنة، وبالتالي لا يكون إسحاق بكر أبيه، ولا وحيده. ومن الواضح أن الحديث لا يستقيم ولا يقبه العقل، غير أن التوراة تستمر في ضلالها القديم، حيث تستمر أحداث القصة، في التوراة، دون كبير اكتراث فتقول:

(فبكر إبراهيم صباحًا وأخذ خبزًا وقربة ماء وأعطاهما لهاجر واضعًا إياهما على كتفها والولد وصرفهما. فمضت وتاهت في برية بئر سبع* ولما فرغ الماء من القربة طرحت الولد تحت إحدى الأشجار* ومضت وجلست مقابله بعيدًا نحو رمية قوس. لأنها قالت لا أنظر موت الولد. فجلست مقابله ورفعت صوتها وبكت* فسمع الله صوت الغلام. ونادى ملاك الله هاجر من السماء وقال لها مالك يا هاجر. لا تخافي لأن الله سمع صوت الغلام حيث هو* قومي احملي الغلام وشدي يدك به. لأني سأجعله أمة عظيمة* وفتح الله عينيها وأبصرت بئر ماء فذهبت وملأت القربة ماءً وسقت الغلام* وسكن في برية فاران. وأخذت له أمه زوجة من أرض مصر) التكوين، الأصحاح: 21، الآية: 14-21.

والشئ المحير والأكثر دهشة هو صمت الرواية التوراتية عن ذكر إسماعيل إلا من شذرات تأتي في الأصحاح25 في سفر التكوين، تتحدث عن وفاة إبراهيم:

(ودفنه أسحاق وإسماعيل ابناه في مغارة المكفيلة... وهذه أسماء بني إسماعيل ... وهذه سنوات حياة إسماعيل. مئة وسبع وثلاثون سنة) الأصحاح: 25، الآية: 9-17.

ومن الواضح أن الرواية التوراتية أرادت التعتيم على ذكر إسماعيل وذريته، فعمدت إلى اختصار حديثها عنه بشكل مخل ومشين، وكأنها تريد أن تتخلص من حمل ثقيل يجثم على أنفاسها، لأنها، في ذات الآن، توسعت بشكل كبير في ذكر تفاصيل حياة أخيه إسحاق وأسهبت في تفاصيلها.

ـ خاتمة البحث:

يقدم الباحث في خاتمة دراسته هذه، ما توصل إليه من نتائج بالإضافة إلى بعض النقاط التي هي يعدها بمثابة توصيات مختصرة لعلها تعود بالفائدة على القارئ الكريم:

1/ النتائج:

- يستند اليهود، على الحق الإلهي في أحقيتهم في السيطرة والإستحواذ على منطقة فلسطين وخاصة مدينة القدس. وبالرغم من قلة أعدادهم وعدم مشروعية إدعائهم الذي لا يسند له لا شرعًا ولا قانونًا، إلا أن تتشبثهم بالعقيدة الدينية وقوة السلطة الروحية قد مكنهم من تحقيق مآربهم وأهدافهم، إذ إن للدين سلطة لا تقهر وتهتز مهما كانت قوة العدووجبروته، يقول تعالى:

(كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ) البقرة: 249.

- لقد تمسك العرب المسلمون، وهم الكثرة الغالبة، بقضية فلسطين والقدس انطلاقًا من الحق التاريخي والسياسي، واستنادًا على مبادئ القانون وسلطته، والغريب في الأمر أن القانون الذي يتشبثون باهدابه قد صاغ نقاطه ومبادئه أعداءهم من اليهود والنصارى؛ مما يعني أن قضيتهم خاسرة وسيطول انتظارهم دون أن ينالوا مبتغاهم في فلسطين والقدس، طالما ظلوا ضعفاء وأزلاء، يقول المتنبئ:

وَاِحتِمالُ الأَذى وَرُؤيَةُ جاني * هِ غِذاءٌ تَضوى بِهِ الأَجسامُ
مَن يَهُن يَسهُلِ الهَوانُ عَلَيهِ * ما لِجُرحٍ بِمَيِّتٍ إيلامُ

- ❖ لن يحسم الصراع، بين اليهود والعرب، حول منطقة فلسطين والقدس التمسك بالحق التاريخي ولا الإعتماد على قوانين الأمم المتحدة، وإنما سيحسم باستخدام سلاح واحد هو قوة العقيدة الدينية ولا شئ سواها.

2/ التوصيات:

- ❖ في البدء وقبل كل شئ، يجب على العرب أن ينهوا خلافاتهم السياسية وأن يكونوا على كلمة سواء، بحيث تتحد رؤاهم وسياساتهم حول القضية الفلسطينية؛ مما سيسهم في بلوغ الغاية والهدف المتمثل في تحرير القدس من أيدي اليهود المغتصبين ومناصريهم الصليبيين.
- ❖ لابد من تغيير الاستراتيجية العربية في مطالبتها بحقها في السيطرة على فلسطين والقدس._اعتمادًا على قانون القوة وليست قوة القانون، لاسيما وأن قوة القانون تصب في مصلحة اليهود، وليس العرب.
- ❖ العمل على الاستفادة من منظمة دول التعاون الإسلامي، التي تجمع 57دولة (ثاني أكبر منظمة بعد الأمم المتحدة)، باعتبارها قوة اقتصادية وعسكرية، يمكنها أن تلعب دورًا حاسمًا في قضية فلسطين يصب في مصلحة العروبة، دون مدافع.

ـ المصادر :

- القرآن العظيم.
- الكتاب المقدس (العهد القديم)، دار الكتاب المقدس في العالم العربي.
- أبو محمد عبد الملك بن هشام المعافري: سيرة ابن هشام، ج1، المكتبة العلمية (بيروت).
- أحمد فؤاد الأهواني، "مقالات الإسلاميين للأشعري"، تراث الإنسانية، ج2، (القاهرة 2016م).
- أميل بوترو، العلم والدين في الفلسفة المعاصرة، ترجمة: أحمد فؤاد الأهواني، (القاهرة 2013م).
- توماس ل تومبسون: القدس، أورشليم العصور القديمة بين التوراة والتاريخ، ترجمة: فراس السواح، مرز دراسات الوحدة العربية، (بيروت) 2003م.

- جايمس هنري برستيد: العصور القديمة، ترجمة: داود قربان، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر (بيروت) 1983م.
- جيمس هنري بستد: فجر الصمير، ترجمة: سليم حسن، الهيئة المصرية العامة للكتاب (القاهرة)، 2015م.
- صمويل هنتنجنتون، صدام الحضارات إعادة صنع النظام العالمي، ترجمة طلعت الشايب، القاهرة 2014م.
- محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي: الجامع الصحيح المختصر، ج2، تحقيق: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة (بيروت) ط3، 1407هـ/ 1987م.
- محمد مورو: الحرب الصليبية من البابا أربا إلى البابا بوش، مكتبة جزيرة الورد (القاهرة) 2005م.
- مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري: صحيح مسلم، ج1، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي دار إحياء التراث العربي (بيروت).
- الموسوعة العربية العالمية، إصدار: 2004م.